السعي وراء الفترة الألفية السعيدة

الفصل الأول

تقاليد نبوءة سفر الرؤيا

سفر الرؤيا اليهودي والمسيحي القديم :

لقد تجمعت المواد الخام المختلفة التي خرج منها الايمان الثوري بالأخرويات (ص ١٩) تدريجيا خلال أواخر العصور الوسطى وهي تتألف من مجموعة متنوعة من النبوءات الموروثة من العالم القديم ، وفي الأصل كانت كل هذه النبوءات من اختراع المجموعات الدينية اليهودية في البداية ، والمسيحية فيما بعد لتواسي نفسها وتدعمها عندما كانت تواجه بالتهديد أو بحقيقة الاضطهاد وإنه من الطبيعي بدرجة كافية أن أقدم هذه التنبوءات لابد قد انتجت من قبل اليهود،وما ميز اليهود بشكل قاطع عن الشعوب الأخرى من العالم القديم كان موقفهم من التاريخ ، وبشكل خاص تجاه دورهم فيه ، وكان اليهود ـ باستثناء الفرس إلى حد ما ـ وحدهم من قام بالجمع بين الايمان الراسخ باله واحد وبين الاعتقاد الذي لايقبل المساومة ولايهتز أنهم هم انفسهم كانوا الشعب المختار من قبل الرب الواحد ، وكانوا على الأقل منذ الخروج من مصر مقتنعين بأن إرادة يهوا مركزة على بني اسرائيل ، وأن بني إسرائيل وحدهم مكلفون بتحقيق هذه الارادة ، وكانوا على الاقل منذ أيام الأنبياء مقتنعين بان يهوا لم يكن مجرد إله وطني قوي بل الرب الواحد القادر للتاريخ ، والذي يتحكم بمصائركل الأمم ، وصحيح أن الاستنتاجات التي استمدها اليهود من معتقداتهم قد اختلفت بدرجة كبيرة كان هناك العديد ، مثل« اشعيا الثاني »، ممن شعروا بأن

الانتخاب الالهي فرض مسؤولية اخلاقية خاصة عليهم هي الالتزام باظهار العدل والرحمة في تعاملهم مع كل الناس، وفي نظرهم إن المهمة الالهية المعينة لبني اسرائيل كانت تنوير غير اليهود من الشعوب، وهكذا يحمل خلاص الرب الى أطراف الأرض، ولكن الى جانب هذا التفسير الاخلاقي وجد تفسير آخر ، أصبح أكثر جاذبية، حيث خضع الحماس القديم للوطنية لصدمة وضغط الهزائم المتكررة والنفي والتشتيت ، وبشكل دقيق لأنهم كانوا متأكدين تماما من أنهم الشعب المختار، فإن اليهود مالوا الى الاستجابة للخطر والاضطهاد، والصعوبات بخيالات الانتصار الشامل والرخاء غير المحدود الذي سيمنحه يهوا بقدرته الكلية لشعبه المختار عند اكتمال الزمان (ص ٢٠)

ويوجد في كتب النبوءات فقرات ـ يعود بعضها الى القرن الثامن ـ تتنبأ بأنه من خلال كارثة كونيه هائلة ، ستشرق فلسطين وستكون شيئا لايقل عن عدن جديدة ، جنة مستردة ،وبسبب إهمالهم ليهوا إن الشعب المختار يجب ان يعاقب في الواقع بالمجاعة والطاعون ،والحرب والأسر ، وفي الواقع يجب ان يخضعوا لحساب دقيق وشديد لدرجة أنه سيحدث عزلا فظيعا عن الماضي المذنب ، ولابد ان يكون يوما بالفعل ليهوا ، هو يوم الغضب عندما تظلم الشمس والقمر والنجوم ، وتنطوي السموات معا وتهتز الأرض وقتها يجب ان يكون هناك حساب فعلي عندما يصبح الكفار ـ هم الذين عند بني اسرائيل لم يؤمنوا بالله ، وايضا أعداء بني اسرائيل من الأمم الوثنية ـ خاضعين للحساب ، وينبذوا إذا لم يدمروا كلية ولكن هذه ليست النهاية ، إن « البقية الناجية » من بني اسرائيل ستنجو من هذا العقاب ، ومن خلال هذه البقية سيتحقق الحلم الألهي ، وعندما يعود تجديد الأمة بهذا الشكل وتنصلح سيتوقف يهوا عن الانتقام ،ويصبح المنجي ، وستجتمع البقية الصالحة ـ معا كما كان يعتقد مؤخرا ، مع الصالحين من الأموات الذين بعثوا الآن مرة أخرى في فلسطين ، وسيسكن يهوا بينهم كقاض وحاكم ، وسيحكم من قدس أعيد بناؤها ، وستصبح صهيون العاصمة الروحية للعالم

إليها تسعى كل الأمم وسيكون عالم عدل ، يحتمي فيه الفقراء ، وعالم سلام وانسجام حيث تصبح الحيوانات الخطرة البرية اليفة وغير مؤذية • وسيسطع القمر كالشمس وسيزداد ضوء الشمس سبعة أضعاف ، وستصبح الصحارى والأراضي البور خصبة وجميلة ، وسيكون هناك وفرة في الماء والعلف للمواشي وللقطعان ، وسيكون للانسان هناك وفرة في القمح والنبيذ والسمك والفاكهة وستتكاثر القطعان بدرجة كبيرة ، وبالتحرر من المرض والحزن من كل نوع ، ومن عدم التكافؤ ، والعيش وفق قانون يهوا المكتوب الآن في قلوبهم ، سيعيش الشعب المختار في فرح وسرور •

وفي سفر الرؤيا الذي كان موجها الى المراتب الدنيا من السكان اليهود في صورة من الدعاية الوطنية إن النبرة أكثر بساطة وأكثر تبجحا ، وهذا بالفعل مدهش في سفر الرؤيا القديم « الرؤيا »أو « الحلم » الذي يشغل الفصل السابع من كتاب دانيال الذي تم تأليفه في نحو عام ١٨٥ق • م في لحظة حرجة غريبة في التاريخ اليهودي ، ولأكثر من ثلاثة قرون منذ نهاية النفي البابلي تمتع يهود فلسطين بمعيار عادل من السلام والأمان في البداية تحت حكم الفرس وفيما بعد تحت البطالسة(ص ٢١)ولكن الحال تغير عندما انتقلت فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد الى ايدي الأسرة الحاكمة السلوقية السورية ـ اليونانية ، وكان اليهود انفسهم منقسمين بشكل مرير حيث أنه في حين تبنت الطبقات العليا بحماس الأخلاق والعادات اليونانية ، تعلق الشعب العادي بعزم أكبر بمعتقدات آبائهم ، وعندما بلغ تدخل الملك السلوقي انطيوخوس الرابع ابفانس ، نيابة عن الطرف الموالي لليونان الى حد منع كل الشعائر الدينية ، كان رد الفعل هو الثورة المكابية ، وفي الرؤيا في كتاب دانيال الذي تم تأليفه في أوج الثورة ، رمزت أربعة وحوش الى القوى العالمية الأربع المتوالية : البابليون ،الميديون(بدون تاريخ)، الفرس واليونان والأخيرة منها ستكون مخالفة لسائر كل الممالك ، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها وعندما دالت هذه

الامبراطورية بـدورها ، فإن اسرائيل مشـخصا بشـكل « ابـن الانسان »:

« جاء مع سحب السماوات ، وجاء الى الايام القديمة ٠٠٠٠ وهناك أعطي السيادة والتألق ومملكة تجعل كل الشعوب ٠ والأمم واللغات تخدمه ، إن سيادته ، سيادة دائمة لن تزول ٠ وعظمة المملكة تحت كل السـماء أعطيت لشـعب القـديسيين الأعلين ٠٠٠٠ »

ويذهب هذا الى مدى ابعد مما ذهب اليه أي مـن الأنبياء فـلاول مرة تخيلت مملكة المستقبل البهية وهي لاتضم ببساطة فلسطين بـل العالم كله ٠

وهنا يمكن للمرء بالفعل أن يعرف نموذج مـا سـيحدث ، وهـو سيبقى الخيال الرئيس للايمان الثوري بالاخرويات : يقـع العـالم تحت هيمنة قوة طاغية شريرة ذات تدمير غير محدود ـ وهـي قـوة علاوة على ذلك تتخيل على انهـا ببسـاطة بشرية بـل شـياطنية ، وطغيان هذه القوة سيصبح عنيفا أكثر فأكثر ، وسـتصبح معـاناة ضحاياها غير محتملة أكثر فأكثر ـ حتى تدق الساعة فجأة وعندها يكون قديسو الرب قادرين على النهوض لازالتهـا وعندهـا سـيرث القديسون أنفسـهم ، والناس المقـدسون الذين كانوا حتـى اليوم يتأوهون تحت نعال الظالمين سيرثون بدورهم السـيادة على الأرض كلها وسيكون هذا أوج التاريخ ، ومملكة القديسيين لن تفوق فقط في بهائها كل الممالك القديمة بل لن يكون لهـا تـال ، إنه بفضـل هـذا الخيال الجامح الذي مـارسه سـفر الرؤيا اليهـودي والايمـان بالاخرويات من خلال مشتقاته ، كان تأثير التخيل على غير القانعين والمخفقين في العصور التالية ـ واستمر هذا الفعل زمنا طويلا بعـد أن نسي اليهود انفسهم وجوده نفسه ٠

ومنذ أن تم ضم فلسطين من قبـل بـومبي في ٦٣ ق ٠ م حتـى حـرب ٦٦ ـ ٧٢ م(ص ٢٢) صـاحب صراعات اليهـود ضـد

سادتهم الجدد ، الرومان وآثارها تـدفق مـن المقـاتلين الرؤويين ، وبدقة شغلت هذه الدعاية الموجهـة للشـعب العـادي دورا كبيرا في التخيلات المتعلقة بالمخلص الأخروي اي المسيح ، وهذا الخيال كان بالطبع قديما بالفعل ،إذ كان المخلص بالنسبة للأنبياء هو الذي عليه أن يحكم الشعب المختار في نهاية الزمـان ، وكان عادة هـو يهـوا نفسه ، وفي الديانة الشعبية من جهة اخرى يبدو ان المسيح المنتـظر قد شـغل دورا كبيرا منذ أن دخلت الأمـة في مـرحلة انحـدارها السياسي ، وكان في الأصل يتخيل في صورة ملك حكيم بشكل خاص ، وعادل وقوي من نسل داود ، يقوم بـاستعادة الثـروات الوطنية • وأصبح المسيح أكثر تفوقا على طبيعة البشر كلما أصـبحت الحـالة السياسية أكثر يأسا •

وفي رؤيا دانيال يبدو ابن الانسان الذي يظهر راكبا من السحاب انه يشخص بني اسرائيل ككل ، ولكن هنا بـالفعل ربمـا يكون قـد صور في صورة فرد فوق البشر ، وفي اسـفار الرؤيا لبـاروخ وعزرا التي تعود بـالاساس للقـرن الأول الميلادي ،الكائن فـوق البشري محقق بشكل لايقبل الجدل كرجل ، وملك محـارب مـوهوب بقـوى معجزة فريدة •

وفي عزرا يظهر المسيح كسبع يهوا ، الذي عندما يزأر فإن الآخـر واسوا الوحوش - وهو الآن النسر الروماني - يتفجـر ملتهبـا ويستهلك ، ومرة اخرى ان ابن الانسان الذي يبيد أولا العـديد مـن الوثنيين بالنار والعواصف التي تخرج مع نفسه سـيجمع القبـائل العشرة التائهة من الأراضي الغريبة ويقيم في فلسـطين مملكة يمـكن فيها لاسرائيل الموحدة من جديد أن تزدهر في بهاء وسلام•

وطبقا لباروخ لابد أن يأتي زمان صعوبات رهيبة وظلم ،وهو زمـان الامبراطورية الأخيرة وهي الأسوأ اي الرومان ، وعندما يصل الشر الى أعظم وتيرة يأتي العدل ،ويظهر المسيح المنتظر ، وهو محـارب قوي سيهزم وسيطرد ويدمر جيوش الأعداء ، وسيأخذ قائد الرومان أسـيرا ويحضره مقيدا بـالسلاسل الى جبـل صـهيون حيث

يعدمه ،وسيقيم مملكة سوف تدوم حتى نهاية العالم ، وكل الأمم التي حكمت اسرائيل ستقع تحت السيف ، وبعض أعضاء الأمم الباقية ستخضع للشعب المختار ، وسيبدأ عصر النعيم الذي لايعرف الألم والمرض والموت في غير الأوان ، والعنف والنزاع والحاجة والجوع ، وفيه تعطي الأرض ثمارها بعشرات الالوف من الأضعاف ، لكن هل ستدوم هذه الجنة الأرضية الى الأبد أم لبضع قرون فقط الى حين استبدالها بمملكة عالمية أخرى ؟

لقد اختلفت الآراء حول هذا الأمر ، ولكن السؤال كان على أي حال مسألة أكاديمية ،وبشكل مؤقت أو أبدي إن مثل هذه المملكة كانت تستحق القتال من أجلها ، واسفار الرؤيا هذه قد رسخت انه بحلول مملكة القديسيين سيظهر المسيح المنتظر نفسه بصورة لاتقهر في الحرب ٠(ص ٢٣)٠

وكما تحت حكم الملوك الوكلاء ، أصبح الصراع مع روما مريرا اكثر فأكثر وأصبحت التخيلات المسائحية لدى كثير من اليهود شاغلا مستحوذا ، وطبقا ليوسف كانت بشكل رئيس اعتقادا في الحلول الوشيك لملك مسيحي ، ودفع هذا باليهود الى حرب انتحارية انتهت بالاستيلاء على القدس وتخريب المعبد في ٧٠ م ، وحتى سيمون بر ـ كوخبا الذي قاد الصراع الكبير من أجل الاستقلال الوطني في ١٣١م كان مايزال يحيى كمخلص منتظر ، ولكن القمع الدموي لهذه الثورة والقضاء على الوطنية السياسية وضع نهاية لكل من العقيدة الرؤوية ولرغبة اليهود في القتال ، ومع انه في القرون التالية قام عدد من المسيحيين المزيفيين بين الجماعات المنشقة فإن ماقدموه كان مجرد إعادة ترتيب للبيت الوطني وليست إقامة امبراطورية عالمية رؤوية ، وعلاوة على ذلك فإنهم نادرا ما كانوا وراء ثورات مسلحة ، ولم يحدث هذا مطلقا بين اليهود الأوربيون ، ولم يعد اليهود بل المسيحيون هم الذين شرعوا يتوسعون في تقاليد نبوءات حلم دانيال ، وهم الذين استمروا على التعلق بها والاستلهام منها ٠

وباتت افكار المسيح الذي عانى ،ومات والمملكة التي كانت روحية صرفة ، هذه الأفكار التي أصبحت فيما بعد تعد قلب العقيدة المسيحية ، ابعد من أن تكون مقبولة من قبل كل المسيحيين الأوائل ، ومنذ ذلك الحين فإن المشكلة كما صيغت من قبل يوهانس وايس Johannes Weiss والبرت شويتزر Albert Shweitzer منذ نحو ستين سنة : كان الخبراء يتجادلون حول مدى تأثير تعاليم المسيح الخاصة بالرؤية اليهودية ، وإذا كانت هذه المسألة واقعة بعيدا خارج مجال الدراسة الحالية ، فإن بعض الأقوال التي تعزوها الأناجيل للمسيح تقع ضمنها بشكل واضح ،إن النبوءة التي احتفل بها والتي سجلها متى بالتأكيد ذات دلالة كبيرة وتبقى هامة سواء نطق بها المسيح حقا ، أو أعتقد انه فعل ذلك :« لأن ابن الانسان سيأتي في بهاء ابيه مع ملائكته ثم يكافيء كل انسان حسب اعماله ، وحقا أقول لكم سيكون هناك بعض التوقف هنا للذين لن يتذوقوا الموت حتى يروا ابن الانسان يأتي في مملكته »٠

وليس مدهشا أن عددا كبيرا من المسيحيين الأوائل فسروا هذه الأشياء بتعابير الايمان الرؤي بالأخرويات الذي كانوا بالفعل يألفونه ، ومثلهم مثل عدد كبير جدا من أجيال اليهود قبلهم رأوا التاريخ مقسما الى عصرين :أحدهما سالف والثاني لاحق للحلول المنتصر للمسيح ٠

حتى انهم كثيرا ما أشاروا الى العصر الثاني« بالأيام الأخيرة » أو « العالم الآتي » وهذا لايعني أنهم كانوا يتوقعون نهاية سريعة مفاجئة وعنيفة لكل شيء بل على العكس فإنه لوقت طويل ٠ كانت اعداد من المسيحيين مقتنعين ليس فقط بأن المسيح سيعود بسرعة بقوة وعظمة بل أيضا انه عندما يعود فإن ذلك سيكون لاقامة المملكة المسيحية على الأرض(ص ٢٤) وكانوا يتوقعون بثقة مملكة تدوم ، سواء لألف من السنين أو لفترة غير محددة ، ومثل اليهود ، عانى المسيحيون من الاضطهاد واستجابوا له باثبات نشاط وقوة أكثر ، للعالم ولانفسهم ، وايمانهم بأن عصر المسيح

المنتظر وشيك ، حيث تصحح أخطاؤهم ويباد اعداؤهم ، وليست مدهشة الطريقة التي تخيلوا بها التحول العظيم الذي كان ايضا يدين بالكثير الى اسفار الرؤيا اليهودية ، التي كان لبعضها في الواقع انتشارا أوسع بين المسيحيين أكثر منه بين اليهود ،وفي السفر المعروف باسم« رؤيا يوحنا » تمتزج العناصر اليهودية والمسيحية في نبوءة أخروية ذات قوة شعرية كبيرة ، وهنا كما في كتاب دانيال ترمز عشرة وحوش رهيبة ذات قرون الى القوة العالمية الأخيرة وهي الآن الدولة الرومانية المضطهدة ، في حين ان وحشا آخر يرمز الى الكهنوت الروماني الاقليمي الذي طالب بتشريف الهي للامبراطور :

« ووقفت فوق رمل البحر ورايت وحشا طالعا من البحر وله عشرة قرون ٠ ٠ ٠ واعطي أن يصنع حربا مع القديسيين ويغلبهم ، واعطي سلطانا على كل قبيلة ولسان وامة ، فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض ، الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة ٠ ٠ ٠ ٠ثم رايت وحشا آخر طالعا من الأرض ٠ ٠ ٠ ويصنع آيات عظيمة ٠ ٠ ٠ ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أعطي أن يصنعها ٠ ٠ ٠ ٠(ص ر ٢٥)٠

ثم رايت السماء مفتوحة ، وإذا فرس ، والجالس عليه يدعي أمينا وصادقا ، وبالعدل يحكم ويحارب ٠ ٠ ٠ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض ونقيا ، ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم٠ ٠ ٠ ٠

ورايت الوحش وملوك الأرض واجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الجالس على الفرس ومع جنده ، فقبض على الوحش والنبي الكذاب مع الصانع قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش ، والذين سجدوا لصورته وطرح الأثنان حيين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت ، والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس ٠ ٠ ٠ ٠ وجميع الطيور شبعت من لحومهم ٠ ٠ ٠

ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع، ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ٠ ٠ ٠ فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة ٠ ٠ ٠ ٠ »وعند نهايتها ـ الفترة الألفية بالمعنى التام للكلمة ـ تتبع هناك البعث العام للأموات والحساب الأخير عندما يكون الذين لم يوجدوا مكتوبين في كتاب الحياة قد طرحوا في بحيرة النار ، وتهبط القدس الجديدة من السماء لتكون بيتا وسكنا للقديسين الى الأبد :

« ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة ، لان السماء الأولى والأرض الأولى مضتا ، والبحر لايوجد فيما بعد ، وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها ، وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا ، والله نفسه يكون معهم إلها لهم وسيسمع الله كل دمعة من عيونهم والموت لايكون فيما بعد ، ولايكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت ، وقال الجالس على العرش : ها أنا أصنع كل شيء جديدا ٠ ٠ وذهب بي بالروح الى جبل عظيم عال وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله ، لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلوري »٠

وبذا كيف يمكن للناس أخذ هذه النبوءة بحرفيتها ، وبأي إثارة محمومة ينتظرون تحقيقها في الحركة المعروفة بالمونتانية ، وفي ١٤٦ م حدث في فريجيا أن رجلا مونتانيا أعلن نفسه أنه تجسيد للروح القدس « روح الحقيقة » وكان طبقا للكتاب الرابع من العهد الجديد سيبشر بأشياء آتية ويبوح بها ، وجمع حوله عددا من المنجذبين وأغلبهم مأخوذ بالتجارب الرؤوية التي كانوا يعتقدون بثقة بأنها ذات منشأ رباني والتي أعطوها حتى اسم « العهد الثالث » وكان موضوع استنارتهم الروحية المجيء الوشيك للمملكة : فقد كانت القدس الجديدة على وشك النزول من السماء الى الأرض الفريجيانية حيث تصبح مسكنا للقديسين ، واستدعى المونتانيون

طبقا لذلك كل المسيحيين الى فريجيا لينتظروا هناك المجيء الثاني بالصيام والصلاة والتوبة المريرة ٠

وكانت حركة متقشفة عنيفة ، متعطشة للمعاناة وحتى للشهادة ، لأنه أو لم يكن الشهداء فوق الجميع هم الذين سيبقون في الجسد وسيكونون المسموح لهم بالعيش في الفترة الألفية السعيدة ؟ ولم يكن أي شيء موحيا بانتشار المونتانية بقدر هذا الاضطهاد نفسه ، ومنذ عام ١٧٧م وما يليه عندما اضطهد المسيحيون مرة أخرى في أقاليم كثيرة من الامبراطورية توقفت المونتانية فجأة عن أن تكون مجرد حركة محلية وامتدت طولا وعرضا ليس فقط عبر آسيا الصغرى بل الى افريقيا ، وروما وحتى الى بلاد الغال ، ومع أن المونتانيين لم يعودوا يتطلعون الى فريجيا ، فإن ثقتهم بالظهور الوشيك للقدس الجديدة لم يهتز ، وكان هذا صحيحا حتى عند تيرتوليان Tertullian أشهر علماء اللاهوت في الغرب في ذلك الوقت ، عندما انضم الى الحركة في السنوات الأولى من القرن الثالث حيث نجد تيرتوليان (ص ٢٦) يكتب عن معجزة عجيبة في فلسطين شوهدت مدينة مسورة في السماء في الصباح الباكر من كل يوم لمدة اربعين يوما وكانت تبهت مختفية مع تقدم النهار ، وكانت هذه علامة أكيدة على أن القدس السماوية على وشك النزول وكانت هذه هي الرؤيا نفسها التي كما سنرى تلهب وتمتن مقاومة حشود الشعوب الصليبية وهي تكدح نحو القدس بعد ذلك بنحو تسعة قرون ٠

وفي توقع المجيء الثاني من يوم لآخر وأسبوع لآخر كان المونتانيون يتبعون خطوات العديد من ، وربما أغلب المسيحيين الأوائل ، وحتى« كتاب الوحي » كان يتوقع حدوثها« قريبا » وبحلول منتصف القرن الثاني كان هذا الموقف قد أصبح نوعا ما غير عادي فقد كانت الرسالة الثانية لبطرس التي كتبت في نحو ١٥٠م مترددة :

فمن الرأفة قد يتمهل المسيح« حتى يعود الجميع الى التوبة » وفي

الوقت نفسه بدأت عملية بها حرمت اسفار الرؤيا المسيحية من النفوذ الذي كانت حتى الآن تتمتع به بشكل قانوني ، الى حد انه لم ينج سوى كتاب الرؤيا وذلك فقط بسبب انه نسب خطأ الى القديس يوحنا ومع ذلك إنه وإن اعتقدت أعداد متزايدة من المسيحيين بأن الفترة الألفية بعيدة وليست حدثا وشيكا فإن العديد كانوا وما يزالون قانعين انها ستأتي عند اكتمال الزمان.

ورسخ جوستين الشهيد Justin الذي لم يكن بالتأكيد مونتانيا هذه النقطة بوضوح كاف في حوار مع اليهودي تريفو Trypho ، وجعل هناك محاوره اليهودي يسأل : هل انتم معشر المسيحيين تتمسكون حقا بأن هذا المكان« القدس » سيبنى مرة اخرى وهل تعتقدون حقا أن شعبكم سيجتمع هنا في بهجة تحت حكم المسيح مع البطاركة والأنبياء ؟

و اجابه جوستين إنه في حين أن هذا ليس موقف جميع المسيحيين الحقيقيين ، فهم لايحملون هذه القناعة ، إنه هو وعدد كبير غيره متحدون في الايمان الواثق بأن القديسين سيعيشون حقا الف عام في قدس معادة البناء مزينة وموسعة ، وسواء اكانت نائية أم وشيكة ، إن مملكة القديسين يمكن بلا شك تصورها بطرق كثيرة مختلفة تتراوح من الأكثر مادية الى الأكثر روحانية ، ولكن بالتأكيد كانت تخيلات العديد حتى بين المتعلمين على أعلى مستوى من المسيحيين مادية بدرجة كافية ويقدم عينة قديمة من هذه التخيلات« الأب الرسولي » بابياس Papias ، الذي يحتمل أنه ولد في نحو ٦٠ م ، والذي ربما يكون قد جلس عند قدمي القديس يوحنا وكان هذا الفريجيني رجل علم ، اوقف نفسه على حفظ الروايات الأولى عن دعوة المسيح ، ومع أن النبوءة الألفية التي يعزوها الى المسيح منحولة وغير منطقية ـ فإن نظائر لها موجودة في مختلف اسفار الرؤيا اليهودية مثل باروخ ـ ومن الأهمية بقدر كبير تبيان معدل ما توقعه بعض المتعلمين من المسيحيين المخلصين من فترة ما بعد

الحواريين ، وفوق ذلك ما اعتقدوه أن المسيح نفسه قد توقعه :(ص ٢٧)

« ستأتي الأيام وفيها ستظهر الكروم ولكل منها عشرة آلاف غصن وعلى كل غصن ، عشرة آلاف فرع ، وعلى كل فرع حقيقي عشرة آلاف عنق على كل منها عشرة آلاف عنقود ، وفي كل عنقود عشرة آلاف عنبة وكل عنبة تعطي خمس وعشرون « ميتريتا » من النبيذ ،وعندما يمسك أحد القديسين بعنقود، سيصيح عنقودا آخر انا عنقود افضل خذني واحمد الرب من خلالي ، ومثل ذلك(قال الرب)إن حبة من القمح ستحمل عشرة آلاف سنبلة ، وكل سنبلة بها عشرة آلاف حبة ، وكل حبة تعطي عشرة أرطال من انقى الدقيق ، نظيف وصاف ، والتفاح والبذور والعشب ستعطي بنسب مماثلة ، وكل الحيوانات ستتغذى فقط على ما ستأخذه من الأرض وستكون مسالمة وودودة لبعضها وخاضعة تماما للانسان.إن هذه الأمور قابلة للتصديق الآن من المؤمنين ، وسأل يهوذا لكونه كافرا خائنا :كيف يمكن لمثل هذا النمو أن يتم من قبل الرب ؟ ولكن الرب أجاب سيرى هذا الذين سيصلون الى هذه الأزمنة ».

وحمل ارنيوس Iranueus الذي كان ايضا من اهالي آسيا الصغرى هذه النبوءات معه عندما جاء ليستوطن في بلاد الغال في نحو نهاية القرن الثاني.

وكأسقف لمدينة ليون وعالم لاهوت بارز يحتمل أن يكون قد فعل اكثر من أي إنسان آخر لترسيخ التصور الالفي في الغرب ، وتشكل الفصول الختامية لرسالته الكبيرة« ضد الهرطقة » مقتطفات أدبية مختارة شاملة حول المسيحية المنتظرة والنبوءات الالفية التي انتخبت من العهدين القديم والجديد« وتتضمن ايضا فقرة من بابياس »، وفي راي ارنيوس إنه جزء لازم من الارثوذكسية أن هذه الأشياء ستأتي في الواقع للمرء بهذه الأرض من أجل منفعة كل من الموتى الصالحين الذين سيبعثون ، والصالحين من الأحياء ، ويظهر

السبب الذي يعطيه لاقتناعه أن الجزء الذي تشغله التخيلات المعوضة ليس أصغر مما كان عليه في أيام رؤيا دانيال :

« حيث أنه حق أنه في هذه الخليقة التي كدحوا فيها وابتلوا أو امتحنوا بكل طريقة بالمعاناة، انهم يجب أن يلقوا الجزاء عن معاناتهم ، وإنه في هذه الخليقة التي قتلوا فيها من أجل محبة الرب يجب أن يحيوا مرة أخرى ، وإنه في هذه الخليقة التي تحملوا فيها العبودية يجب أيضا أن يحكموا، ولأن الله غني في كل شيء وكل شيء له ، إنه من الموائم بناء عليه ان تستعاد الخليقة نفسها الى حالتها البدائية ، وأن تكون دون تأهيل تحت سيادة الصالحين • • • • »•

وكان النمط لايزال هو نفسه في القرن الرابع عندما بدا لاكتانيتوس البليغ Lactontius في كسب المتحولين الى المسيحية ، فلم يتردد في تقوية جذب الفترة الألفية السعيدة بما يتعلق بالانتقام الدموي من الفاسدين(ص ٢٨):

« لكن الرجل المجنون (المسيح الدجال) سيقود وهو يغلي بغضب حقود جيشا ويحاصر الجبل الذي لجأ إليه الصالحون ، وعندما يرون أنهم قد حوصروا سيصيحون بصوت مرتفع طالبا لمعونة الرب وسيسمعهم الرب وسيرسل لهم محررا ، ثم تنفتح السماء بعاصفة ويهبط المسيح بقوة عظيمة يتقدمه سطوع ناري وحشد لاحصر له من الملائكة ، وكل هذه الجموع الكثيرة غير المؤمنة بالرب ستباد وستتدفق سيول من الدم• • • وعندها يحل السلام ويقمع كل شر ، سيقوم الملك الصالح المنتصر بحساب عظيم على أرض الأحياء والأموات وسوف يحيل كل الوثنيين من الناس للسخرة تحت إمرة الصالحين الذين هم أحياء ، وسيرفع الصالحين من الأموات الى الحياة الأبدية، وهو نفسه سيحكم معهم على الأرض وسيؤسس المدينة المقدسة ، ومملكة الصالحين هذه ستدوم الف عام، وخلال هذا الوقت ستكون النجوم أكثر سطوعا ، وسيزداد سطوع الشمس

ولن يتناقص أو يمحق القمر ، وسينزل مطر البركة من عند الرب صباحا ومساء، وستحمل الأرض كل الثمار دون جهد من الانسان والعسل بوفرة سيقطر من الصخور وستتفجر ينابيع الحليب والنبيذ ، وستدع وحوش الغابات توحشها وتصبح اليفة ٠ ٠ ٠ولن يعيش أي حيوان مفترس بعد ذلك على سفك الدماء فسيمد الله الجميع بطعام وافر غير آثم »

وعلى صفحات الكوموديانوس Commodis nus بلور شاعر لاتيني من الطبقة الدنيا(ربما)في القرن الخامس التخيلات المعتادة للنصر والانتقام في حث على حمل السلاح والقتال مفاجيء ، فكان أول نذير للالفية الصليبية التي قدر لها ان تتفجر في اوروبا في أواخر العصور الوسطى ، حيث طبقا للكوموديانوس عندما يعود المسيح سيكون على رأس جيش ليس من الملائكة ، بل من نسل الأسباط العشرة التائهة من بني اسرائيل الذين بقوا في أماكن خفية غير معروفة لبقية العالم ، وعرض« هؤلاء الناس الأخيرون المقدسون » كمجتمع فاضل وحيد لايعرف شيئا عن الكراهية والخداع أو الشهوة ، ويحمل كراهيته لسفك الدماء الى حد النباتية ، إنه ايضا مجتمع مؤيد من الرب لأن لديه مناعة تامة ضد التعب ، والمرض والموت قبل الأوان ، والآن يسرع هذا الحشد لتحرير القدس« الأم الأسيرة » « وهم سيحضرون مع ملك السماء ٠٠٠٠ وستبتهج كل الخليقة لرؤية الشعب السماوي ، فتسطح الجبال نفسها أمامهم وستتفجر الينابيع على طول طريقهم ، وستنحني السحب لحمايتهم من الشمس، ولكن هؤلاء القديسين سيكونون محاربين ضاريين، لايقاومون في الحرب ، غاضبون كالأسود يخربون الأراضي التي يعبرونها ويهزمون الأمم ويدمرون المدن ، وبإذن الرب يغنمون الذهب والفضة وينشدون التراتيل للأفضال التي تغمرهم ، ويهرب المسيح الدجال في خوف الى الأجزاء الشمالية(ص ٢٩) ويعود على رأس جيش من الأتباع الذين من الواضح انهم اولئك الناس الخرافيين المخيفيين الذين يعرفون بشكل جماعي باسم يأجوج ومأجوج ، والذين يقال إن الاسكندر الأكبر قد سجنهم في أقصى

الشمال ، غير أن المسيح الدجال سيهزم على يد ملائكة الرب وسيطرح في الجحيم .

وسيحول قادته ليصبحوا عبيدا للناس المقدسين ، وهم الناجون القلائل من الحساب الأخير ، وبالنسبة للناس المقدسين انفسهم ، فإنهم سيعيشون الى الأبد في القدس المقدسة خالدين لايهزمون ويتزوجون وينجبون ولايصابون بالمطر أو البرد في حين أن كل ما هو لهم أرض مجددة الشباب الى الأبد تصب ثمارها ».

التقاليد الرؤوية في اوربا العصور الوسطى

راى القرن الثالث المحاولة الأولى لتكذيب الألفية ، عندما بدأ أوريجن Origen ، ربما الأكثر نفوذا بين كل علماء اللاهوت في الكنيسة القديمة بتصوير المملكة كحدث يمكن أن يقع لافي المكان ولا في الزمان بل فقط في نفوس المؤمنين ، وبشكل جماعي استبدل أوريجن إيمان الألفيين بالأخرويات بإيمان اخروي بالروح الفردية ، والذي حرك روحه المتعمقة في الخيال الهلنستي ، كان مظهر الرقي الروحي الذي بدأ في هذا العالم ليستمر في العالم الآخر ، ولهذا الموضوع شرع علماء اللاهوت من الآن فصاعدا يعطون اهتماما متزايدا ، وبات مثل هذا التحول في الاهتمام في الواقع موائما بشكل مثير للاعجاب لما أصبح الان كنيسة منظمة تتمتع بسلام غير منقطع تقريبا ، وموقف معترف به في العالم ، وعندما بلغت المسيحية في القرن الرابع موقعا ساميا في عالم البحر المتوسط ، واصبحت الديانة الرسمية للامبراطورية ، أصبح الرفض الكنسي للالفية مؤكدا ، واصبحت الكنيسة الكاثوليكية الان مؤسسة قوية مزدهرة ، تعمل وفق روتين راسخ تماما ، ولم يكن لدى الرجال المسؤولين عن إدارتها رغبة في رؤية المسيحيين يتعلقون باحلام عتيقة وغير موائمة

عن جنة ارضية جديدة ، وفي وقت مبكر من القرن الخامس قدم القديس أوغسطين المذهب الذي تطلبته الظروف الجديدة .

وطبقا لما جاء في كتاب « مدينة الرب » كان ينبغي فهم سفر الرؤيا كرمز روحي ، وبالنسبة للالفية التي بدات مع مولد المسيحية وفهمت تماما في الكنيسة ، اصبحت هذه على الفور عقيدة ارثوذكسية ، والآن إن الحقيقة المؤكدة هي ان ارنيوس البارز والمحترم قد يكون عدّ مثل هذا الاعتقاد جزءا لازما من الارثوذكسية ، شعر انه لايمكن التغاضي عنه وبذلت جهود مصممة لطمس الفصول الالفية من بحثه ضد الهرطقة ، وبمفعول جيد ، حتى انها قد اكتشفت فقط في عام ١٥٧٥ في مخطوط حدث أن المنقحين قد غفلوا عنه . (ص ٣٠)

ومع ذلك ينبغي أن لايقلل من اهمية التقاليد الرؤوية مع أن المذهب الرسمي لم يعد فيه مكان لها ، فلقد بقيت في العالم السفلى المظلم للديانة الشعبية الشائعة ، وبفضل التقاليد اصبحت فكرة القديسين من ذوي المستوى الأعلى منتشرة على نطاق واسع بالقوة نفسها في بعض الدوائر المسيحية كما كانت دائما بين اليهود ، مع انه منذ أن ادعت المسيحية بأنها دين عالمي لم تعد تفسر بالمعنى الوطني ، وفي المسيحية الرؤوية بقيت تخيلات الانتخاب الالهي ، واحييت ، واصبحت الاساس في الادب الذي دشن بسفر الرؤيا الذي شجع المسيحيين على أن يروا أنفسهم كشعب مختار من الرب ـ واختير كلاهما من اجل إعداد الطريق لاجل ولوراثة الالفيين ، وكان لهذه الفكرة جانبية كبيرة حتى أن اي إدانة رسمية لم تكن لتمنع ظهورها مرات ومرات في عقول المحرومين من المزايا ، والمسحوقين ، وذوي التوجيه السيء وغير المتوازنين ، وقد اظهرت الكنيسة المؤسساتية في الواقع مهارة بالغة في التحكم في ، وفي توجيه الطاقات الانفعالية للمؤمنين وبشكل خاص في توجيه الآمال والمخاوف بعيدا عن هذه الحياة نحو الحياة الاخرى ، ولكن مع أن جهودها كانت ناجحة بشكل طبيعي .

إنها لم تكن كذلك بصورة دائمة ، وبشكل خاص في أوقات عدم الثقة العامة أو القلق حيث يكون الشعب دائما عرضة للتحول إلى سفر الرؤيا والحواشي التي لاحصر لها عليه ، وإلى جانب ذلك ظهر تدريجيا موضوع آخر له تأثير مساو للكتابات الرؤوية التي اصبحت تعرف الآن باسم وسطاء الوحي « السبلينيون » في العصور الوسطى .

وتضمنت الرؤى اليهودية الهلنستية بعض الكتب التي ادعت مثل الكتب السبلينية الشهيرة المحفوظة في روما ، أنها تسجل أقوال نبيات ملهمات ، وفي الواقع إن هذه « الهواتف » المكتوبة بتفاعيل سداسية يونانية ، كانت انتاجا أدبيا يرمي إلى تحويل الوثنيين إلى اليهودية ، والتي كانت في الواقع تتمتع برواج عظيم بينهم ، وعند الاهتداء إلى الدين الجديد بدأ المسيحيون بدورهم في اقرار نبوءات سبلينية وهنا استمدوا الكثير واعتمدوا على السبلين اليهودي ، وما برح هذا الادب النبوئي الجديد يعرف مخلصا أخرويا واحدا هو المسيح المحارب كما ظهر في سفر الرؤيا ، ولكن منذ الاسكندر الأكبر كان العالم اليوناني ـ الروماني قد تعود على تأليه ملوكه او تعظيمهم حتى العبادة ، وكان هناك ملوك هلنستيون ممن حملوا لقب « المخلص » واباطرة رومان ممن منحوا القاب تشريف الهية في حياتهم وعليه لم يكن من المدهش أنه حالما وحدت المسيحية قواتها مع الامبراطورية ، بات على السبلين المسيحي ان يحيي الامبراطور قسطنين على أنه الملك المسيحي المنتظر (ص ٣١) وبعد موت قسطنطين استمر السبلين في ربط اهمية اخروية بشخص الامبراطور الروماني وبفضلهم ازدوجت تخيلات المسيحيين لاكثر من الف سنة حول صورة المسيح المحارب وتضاعفت باخر هو امبراطور الايام الاخيرة .

وكان اقدم سبلين معروف لاوروبا العصور الوسطى هي التبوريتنا التي تعود بصورتها المسيحية الى اواسط القرن الرابع من ٣٤٠ ـ ٣٥٠ م ، ووقتها كانت الامبراطورية مقسمة بين

الابنين الباقيين لقسطنطين :كونستانس الاول الذي حكم في الغرب وكونستانتيوس الثاني الذي حكم في الشرق ، وكان الجدل الاريوسي في اوجه ، وبينما كان كونستانس مؤيدا قويا مخلصا للعقيدة وحاميا لاثناسيوس ـ كان كونستانتيوس ميالا للاسس السياسية اكثر منه للاسس الدينية ـ ومؤيدا للطرف الاريوسي ، وفي ٣٥٠ م قتل كونستانس الذي ثبت انه حاكم فاسد شرير على ايدي قواته ، واصبح كونستانتيوس الحاكم الوحيد للامبراطورية ، ويعكس السبلين التبور تيني ردود فعل الكاثوليك تجاه هذه العقبة ، فهو يتحدث عن « زمان الاحزان » ، عندما تقع روما في الاسر ويضطهد الطغاة الفقراء والابرياء ويحمون المذنبين ، ولكن يأتي حينئذ إمبراطور يوناني يدعى كونستانس يوحد النصفين الغربي والشرقي من الامبراطورية تحت حكمه .

وبحضور مسيطر حكم كونستانس الطويل ، ذا الجسم المتناسب والوجه المتلالىء الجميل ١١٢ (او ١٢٠) سنة ، وكان عصره عصر وفرة : زيت ، نبيذ ، قمح ، مواد متوفرة ورخيصة ، وهو ايضا عصر سيرى النصر النهائي للمسيحية ، فالامبراطور سيدمر تدميرا تاما مدن الوثنيين ، وسيدمر معابد الالهة المزيفة ، وهو سيستدعي الوثنيين انفسهم للتعميد المسيحي ، والوثنيون الذين سيرفضون التحول يجب أن يموتوا بالسيف ، وفي نهاية الحكم الطويل سيتحول اليهود ايضا ، وعندما يحدث ذلك ، يضيء الضريح المقدس في بهاء وسيتحلل الاثنى عشر شعب لياجوج وماجوج من قيودهم ، وهم بكثرة رمال البحر ، ولكن الامبراطور يحشد جيشه ويبيدهم ، وما أن تنتهي مهمته سيرحل الامبراطور الى القدس ، ليضع هناك التاج الامبراطوري والاردية على الجلجلة ، ومن ثم يسلم العالم النصراني لعناية الرب ، وبلغ العصر الذهبي ومعه الامبراطورية الرومانية النهاية ، ولكن قبل نهاية كل شيء يبقى وقت قصير للابتلاء ، حيث يظهر الآن المسيح الدجال ويحكم في المعبد في القدس ، ويخدع العديد بمعجزاته ويضطهد الذين لايستطيع خداعهم ، ومن اجل المختار سيقصر الرب هذه الايام ، وسيرسل

الملاك الكبير ميكائيل ليدمر الدجال ، وفي النهاية سينفتح السبيل امام المجيء الثاني ليحل . (ص . ٣٢).

ويلوح شخص امبراطور الايام الأخيرة الذي قدم للمرة الأولى من قبل التبورتينا انه أكبر منه في السبلين المعروف باسم « المنهج الكاذب » والنبوءة التي كانت متذكرة ، كعمل لأسقف القرن الرابع الشهيد ميثاديوس أسقف البتراء كانت في الحقيقة قد صنفت في حوالي نهاية القرن السابع ، وكان هدفها الاساسي ايجاد تعزية للمسيحيين السوريين في وضعهم الصعب غير المألوف كأقلية تحت الحكم الاسلامي ، وهو يبدأ بمسح لتاريخ العالم من جنة عدن الى الاسكندر، ثم يمر في مجلد واحد بزمن المؤلف نفسه ، وتحت مظهر التنبؤ بأشياء ستحدث يصف كيف أن الاسماعيليين الذين هزمهم جدعون مرة ودفع بهم للعودة الى صحاريهم عادوا وعاثوا في الأراضي من مصر الى أثيوبيا ، ومن الفرات الى الهند ، والمسيحيون سيعاقبون على خطاياهم باخضاعهم بعض الوقت من قبل هذه القبائل البدوية التي ترمز بالطبع الى الجيوش الاسلامية الفاتحة ويقتل الاسماعيليون الكهنة المسيحيين ، وينتهكون حرمة الأماكن المقدسة ، وبالقوة أو الخداع يغررون بالعديد من المسيحيين ويحرفونهم عن العقيدة الصحيحة، ويأخذون من المسيحيين قطعة من الأرض بعد قطعة ويتفاخرون بأن المسيحيين قد سقطوا في أيديهم الى الأبد .

ولكن ـ وهنا تغامر النبوءة حقا للمرة الأولى في توقعات المستقبل ما أن تصبح الحالة سيئة أكثر مما كانت، حتى نجد امبراطورا قويا اعتقد الناس أنه مات منذ زمن طويل ينفض عنه النعاس ، وينهض في غضب ، ويهزم الاسماعيليين، ويدمر تماما اراضيهم بالنار والسيف ويضع عليهم نيرا أكثر قمعا بمائة مرة من الذي وضعوه على المسيحيين ، ويغضب أيضا من المسيحيين الذين تذكروا لربهم، ثم يتبع ذلك فترة من السلام والبهجة تتحد خلالها الامبراطورية في ظل حاكمها العظيم وتزدهر كما لم تفعل من قبل .

ولكن حشود يأجوج ومأجوج عندئذ تنطلق وتحدث خرابا شاملا ورعبا حتى يرسل الرب قائدأمن جيش السماء يدمرهم في ومضة ثم يرحل الامبراطور الى القدس لينتظر هناك المسيح الدجال وعندما يحدث هذا الحدث المروع يضع الأمبراطور تاجه فوق الصليب في الجلجلة ويحلق الصليب الى السماء، ويموت الامبراطور ويبدأ حكم المسيح الدجال ، ولكن قبل مضي وقت طويل يعود الصليب للظهور في السماوات كعلامة على ابن الانسان ، ثم يأتي المسيح نفسه على السحب في قوة وبهاء ، ليقتل الدجال بالزفير من فمه وليقوم بالحساب الأخير ٠

و قد انتهت الحالات السياسية التي اثارت هذه النبوءات وفقدت من الذاكرة وقائعها ، و مع ذلك احتفظت النبوءات بكل فتنتها ، و خلال فترة العصور الوسطى استمر الايحاء بالأخرويات السبلينية الى جانب الايمان الأخروي المستمد من سفر الرؤيا ، معدلا إياها او معدلا بفعلها ، و لكن بشكل عام كان يتجاوزها الى الشعبية(ص ٣٣)

ومع أن السلبينيين كانوا غير قانونيين (شرعيين) وغير أصوليين فإنه كان لهم نفوذ كبير - في الواقع باستثناء الكتاب المقدس وكتابات آباء الكنيسة - ربما كانت كتاباتهم الأكثر تأثيرا في العصور الوسطى في أوربا و كثيرا ما كانوا يملون البيانات على الشخصيات المهيمنة في الكنيسة والرهبان والراهبات مثل القديس برنارد والقديس هيلدغارد اللذان كانت آراؤهما مقدرة حتى من البابوات والأباطرة الى حد اعتبارها ملهمة من الرب ،و علاوة على ذلك اثبتوا أنهم قابلين للتكيف بلا حدود ، وكثيرا ما كانت كتاباتهم تحرر ويعاد تفسيرها لمواءمة الأحوال و لتكتسب جاذبية بالنسبة لشواغل اللحظة ، و كانت تقدم في كل وقت لأشباع رغبات المتلهفين من البشر الى نبوءة لا تقبل الجدل عن المستقبل ، و بالفعل عندما وضعت النصوص الوحيدة المعروفة في الغرب باللاتينية وأصبحت بناء على ذلك في متناول رجال الأكليروس فقط فإن بعض المعرفة عن

فحواها قد تسربت حتى إلى ادنى المراتب من العامة ، و منذ القرن الرابع عشر و ما بعده بدات التراجم في الظهور باللغات الأوربية المختلفة ، و عندما اخترعت الطباعة كانت هذه التراجم بين أول الكتب التي طبعت ، و في وقت قريب من نهاية العصور الوسطى عندما كانت المخاوف والآمال التي شكلت في البداية نبوءات السبلينيين لمدة تقارب الف سنة ماضية او أكثر من الماضي ما برحت هذه الكتب تقرأ و تدرس في كل مكان.

و تتحدث تقاليد يوحنا(★) عن محارب مخلص ينتظر أن يظهر في الأيام الأخيرة ، و تتحدث تقاليد السبلينيين عن اثنين ، و لكن كليهما يتفقان انه في تلك الأزمان سيظهر عدو رئيس للرب ، هو شخصية غير عادية للمسيح للدجال ، و كانت هذه شخصية أسهمت فيها معظم التقاليد المختلفة ، و اصبحت رمزا قويا بقدر ما هو معقد ، و هنا مرة اخرى كان تأثير رؤيا دانيال حاسما ، وعندما تكلمت هذه النبوءة عن « ملك سوف يرفع نفسه ويعظمها فوق كل إله »

«ويتكلم بكلمات عظيمة ضد الله كانت تشير سرا الى الملك الظالم انتيوخيوس ابيفانس الذي كان في الواقع مصابا بجنون العظمة ، ولكن أصل النبوءة سرعان ماذسي حتى بينما كان سفر دانيال ما يزال معتبرا من الكتب المقدسة التي تتنبأ بأمور مستقبلية ، وبانفصاله عن محيطه التاريخي أحيلت الشخصية الطاغية المعادية للرب في الأيام الأخيرة الى الرصيد الشائع من المعرفة الرؤوية اليهودية والمسيحية فيما بعد

وفي كتابات القديس بولس الى التسالونيكيين وفي سفر الرؤيا تظهر هذه الشخصية على انها المسيح الدجال « الذي يعارض ويرفع نفسه فوق كل ما يدعي رب ، او مايعبد ، وهكذا فانه كاله يجلس في

★ ـ اي التي تستند الى سفر الرؤيا الذي يعزى الى يوحنا

معبد الرب مظهرا نفسه انه الرب ... وبالآيات والأعاجيب الكاذبة التي سيقوم بها النبي الكاذب من خلال قوى الشيطان سيخدع العالم ، وعلى السطح سيبدو فاضلا تماما وخيرا ، ومع أن شره عام فانه سيتمتع بخبث شديد وسيمكنه ذلك من اقامة حكم طاغ بالغ القوة : وقد أمكن له شن حرب على القديسين والتغلب عليهم وسيعطى القوة على كل العشائر وكل الالسن والأمم » (ص ٣٤)

وهذه الشخصية التي اعطيت الآن اسم المسيح الدجال يمكن بناء على ذلك اعتبارها كائنا بشريا ، امبراطورا او اميرا أو اسقفا يكون في آن واحد مغو وقاس ، اضافة الى كونه خادما واداة للشيطان ، ولكن المسيح الدجال لم يعتقد أبدا بأنه مجرد رجل مهما كان شريرا ، وتسربت توقعات الفرس (المزديين) بهزيمة الشيطان الكبير اهرمان في آخر الأيام المحبوكة مع الأسطورة البابلية حول معركة بين الاله الرسمي وتنين الفوضى ، الى الرؤوية اليهودية ، واثرت بعمق في تخيلات طاغية آخر الزمان ، وبالفعل في نبوءة دانيال ، فان انتيوخرس لايظهر فقط كملك ذي ملامح عنيفة بل ايضا كمخلوق ذي قرون تتعاظم وتطول حتى بالنسبة لجيش السماء ، وحتى تطرح بعض حشود السماء ، والنجوم على الأرض وتطأهم ، وتختم عليهم ، وفي سفر الرؤيا ان الدور التقليدي للمسيح الدجال مقسم بين الوحش الأول ـ التنين العظيم الأحمر الذي يظهر في السماوات ، أو ينهض من البحر وهو بسبعة رؤوس وعشرة قرون ـ والوحش الثاني ـ الدابة الهائلة ذات القرون التي تتكلم كتنين ، والتي تخرج من هدة لاقاع لها بداخل الأرض

وهنا ظهرت شخصية المسيح الدجال في شخصية الدابة ذات القرون التي تسكن في أعماق الأرض « الأفعى القديمة الشيطان نفسه » وخلال جميع القرون استمر الدجال في شغل خيال الناس والهابه واحتفظ بنوعيته الشيطانية ، وخلال العصور الوسطى كان لايصور فقط بصورة طاغية متوج بل ايضا كشيطان او تنين يطير في

الهواء يحيط به شياطين اصغر ،و يحاول ان يطير عاليا ليثبت انه اله وهو يقذف به نحو موته من قبل الله (الصورة ١) وفي وسط القرن الثاني عشر راه القديس هيلدغارد أوف بنجن في رؤيا في صورة وحش ذي رأس رهيبة لدابة سوداء كالفحم وعينين ملتهبتين وأذني جحش ومعدة متشعبة ذات اشواك حديدية .

وفي الواقع كان المسيح يشبه شيطان ، تجسيد ضخم عملاق لقوة فوضوية مدمرة ، ولتقدير كيف كان الشعور بمدى عدم محدودية القوة لديه ، وكم هي خارقة للقدرة البشرية ، وكم هي مرعبة ان على المرء ان ينظرفقط في صورة ملكيورلورك للشيطان ـ المسيح الدجال (هو هنا شبيه بالبابا) (الصورة ٢) ويعود تاريخ هذه الصورة الى وسط القرن السادس عشر والانفعال الذي تعبر عنه هو مزيج من الرعب والكراهية والازدراء ، وكانت تزعج الأوروبيين منذ قرون عديدة خلت (ص ٣٥)

وقد اثرت النبوءات السبلينية ونبوءات يوحنا في المواقف السياسية ، وبالنسبة لشعوب العصور الوسطى ، فالدراما المذهلة للايام الأخيرة لم تكن خيالا حول مستقبل بعيد غير محدود ، بل كانت نبوءة مؤكدة تقريبا وفي اي لحظة معينة تعطي احساسا بكونها وشيكة التحقيق ، وتظهر حوليات العصور الوسطى لتاريخ الأحداث بوضوح كاف كيف ان احكاما سياسية خاصة كانت تتلون بهذه التوقعات ، وحتى في العهود الأكثر بعدا عن الوفاء بالغرض حاولت الحوليات ان تدرك ان الانسجام بين المسيحيين ، وان الانتصار على الكفار وان تلك الوفرة التي لانظير لها والازدهار ستكون من علامات العصر الذهبي ، ومع كل ملك جديد تقريبا حاولت رعاياه ان ترى فيه اخر امبراطور عليه أن يترأس العهد الذهبي ،بينما كانت الحوليات تضفي عليه النعوت المسيحية التقليدية « ملك عادل » او ربما داود ، وعندما كانت تجربة كل زمان تأتي بالتحرر الذي لامفر منه من الوهم ، كان الناس يكتفون بمجرد أن التحقيق البهي قد تأجل الى العهد التالي ، واذا استطاعوا اعتبروا الملك الحاكم

كبشير عليه مهمه جعل الطريق ممهدا من اجل الأمبراطور الأخير ، ولم يكن هناك ابدا اي نقص في الملوك لتوسم بدرجات مختلفة من الاخلاص او الملاحظات الساخرة حول هذه الآمال الملحة

وفي الغرب كانت الاسر الحاكمة في كل من فرنسا والمانيا تستثمر النبوءات السبلينية لدعم ادعاءاتها بالأهمية ، كما فعل الأباطرة البيزنطيون قبلهم في الشرق

وكان قدوم المسيح الدجال منتظرا حتى بتوتر كبير ، وعاش جيل بعد جيل في توقع مستمر للشيطان المدمر لكل شيءالذي كان حكمه مقدرا له ان يكون اضطرابا غير قانوني ، عصر متروك للسرقة والسلب والاغتصاب والتعذيب والمذابح ولكن من المقدر له ان يكون ايضا مقدمه لتحقيق المجيء الثاني لملكة القديسين المترقب بشوق عظيم ، فقد كان الناس دائما في ترقب للعلامات التي طبقا للتقاليد النبوئية مقدرة ان تكون مبشرة ومصاحبة للزمن الأخير للمتاعب

وحيث ان العلامات تشمل حكاما سيئين وحربا اهلية وتشتتا وجفافا ومجاعة ووباء ومذنبات ووفيات فجائية لأشخاص بارزين وزيادة في الخطايا العامة لم يكن هناك ابدا اي صعوبة في ايجادها

والغزو او التهديد بالغزو من قبل الهون والمجر والمغول والمشارقة او الترك كان دائما يحرك ذكريات تلك الحشود حول المسيح الدجال ، وشعوب يأجوج ، وفوق كل شي كان اي حاكم يمكن ان يعتبر طاغية مرشحا لأخذ سمات المسيح الدجال ، وكانت الحوليات العادية تعطيه اللقب التقليدى « ملك ظالم » وعندما يموت مثل هذا الملك تاركا النبوءات دون تحقيق فانه سينخفض من مجرد د ملك عادل » الى مرتبة «عابر» ثم يستأنف الانتظار (ص ٣٦).

وهنا ايضا كانت فكرة اسلمت نفسها بصورة مثيرة للاعجاب الاستثمار السياسي وكثيرا ماحدث أن اعلن أحد الباباوات في وقار خصمه ـ امبراطورا عنيفا او ربما عدوا لبابا ـ ليكون هو المسيح الدجال نفسه واذا ذاك فان اللقب نفسه يلقى عليه.

ولكن اذا كانت الخيلات التقليدية حـــول الأيام الأخيرة تـــؤثر باستمرار على الطريقة التي كان ينظر بها الى الأحداث السياسية والشخصيات واللغة التي كانت تدار بها الصراعات السياسية ، انه فقط في بعض حالات اجتماعية ، كانت تعمل كأساطير اجتمـــاعية ديناميكية وفي الوقت المناسب سنتفحص ماهي هذه الحالات ، ولكن من الضروري اولا القاء نظرة على تقاليد الانشقاق الديني الذي كان موجودا دائما في اوروبا العصور الوســطى والذي كان مــن الممــكن احيانا ان ينتج مدعين لأدوار المسيح المخلص ، او نصف مثل هــذه الأدوار .